ظاهرة تعدد الزوجات في الأسرة اللوبية القديمة

(قبل القرن الرابع ق.م)

د. وفاء بوغرارة
جامعة أدرار

يبقى تاريخ المغرب القديم في حاجة إلى المزيد من الدراسات الاجتماعية عامة وعن المرأة خاصة وللوصول إلى جوانب حياتها أثناء الفترة القديمة لزم الأمر دراسة النصوص المصرية والإغريقية القديمة،والرجوع إلى كتابات مجموعة من المؤرخين درسوا الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب القديم، لأن المعلومات الواردة ضمنها تميط الكثير من الحقائق منها ظاهرة تعدد الزوجات وإبراز مكانة المرأة ودورها في المجتمع اللوبي القديم.

Abstract:

The history of Old Maghreb remains in need of more social studies in general and women in particular and access to the aspects of life during the oldperiodnecessary to review the content of ancientEgyptian and Greektexts, because the information contained in them are a lot of facts, including the phenomenon of polygamy and highlight the status of women and theirrole in the Old Lobby society.

مقدمة:

تساعدنا النصوص القديمة في دراسة المجتمع المغربي القديم بصفة عامة ونظام أسرته بصفة خاصة. وإذا كانت مصادر العصر اليوناني تؤكد عادة تعدد الزوجات، فإن المصادر المصرية تكشف عن وجود هذه العادة أيضا عند سكان بلاد المغرب، وقد ورد ذلك في الكثير من النقوش المصرية القديمة منها: نقوش "الكرنك"، ولوحة "بيعنخي" ولوحة "حاربسن" (من الأسرة الثانية والعشرين).

ولعل ظاهرة تعدد الزوجات على نطاق واسع بين سكان بلاد المغرب هي التي أدت إلى وقوع عدد من الكتاب الإغريق ، وفي مقدمتهم هيرودوت في التباس، عندما تحدثوا عن انتشار ما يشبه الإباحية الجنسية وهذا ما سأحاول معالجته وتوضيحه في موضوع المقالة بالرجوع إلى كتابات مجموعة من المؤرخين درسوا الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب القديم أبرزهم مها العيساوي، ومحمد العربي عقون ورجب عبد الحميد الأثرم.

ومن هنا يمكننا التساؤل عن ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع اللوبي القديم؟ وكيف تناولتها المصادر المصرية والإغريقية؟ وهل انتقص ذلك من مكانة المرأة اللوبية؟ هذه أسئلة سوف أحاول رصدها من خلال العناصر الآتية:

1.النظام الاجتماعي في المغرب القديم قبل القرن الرابع قبل الميلاد.

2.تعدد الزوجات من خلال المصادر المصرية.

3.تعدد الزوجات من خلال المصادر الإغريقية.

4. مكانة المرأة اللوبية.

1.**النظام الاجتماعي في المغرب القديم قبل القرن الرابع ق.م:** المجتمع عبارة عن جماعة بشرية تشمل عدداً غير محدود من الناس يعيشون في أرض معلومة الحدود لفترة زمنية طويلة، فتنشأ بينهم روابط ثابتة تمثلها القرابة، التي تشير إلى تفاعلهم الاجتماعي بثلاث طرق: الأول ينجم عن تناسل الأسرة وتكاثرها وهو التجمع المتسلسل، في

حين يعتبر الثاني ناتج عن اجتماع عدد من الأسر مع بعضها محافظة كل منها على عاداتها وتقاليدها وهو التجمع المختلط، أما الثالث فيكون نتيجة اختلاط الأسر وامتزاجها عن طريق الزواج (المصاهرة) والتجمع المزجي[1]، وأول صورة للتنظيمات الاجتماعية الدائمة التي ظهرت في الفترة القديمة هي القبيلة[2].

1.1القبيلة: كان نظام المجتمع اللوبي[3] في هذه الفترة قبلياً والدليل على ذلك، كثرة القبائل المختلفة التي سكنت إلى الغرب من مصر، وقد ظهرت مصورة على الآثار المصرية، ثم ذكرها الكتاب الكلاسيكيون فيما بعد. ويرجع سبب وجود النظام القبلي إلى أن الرعي والزراعة المحدودة كانتا تشكلان الجانب الأهم من حياة اللوبيين الاقتصادية[4].

[1]مها العيساوي، إشكالية المنهج والمصطلح في المدرسة التاريخية الجزائرية مصطلح المجتمع المغاربي القديم أنموذجاً، أشغال الندوة العلمية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة 2011، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر 2012، ص 81.

[2]**القبيلة:** هي مجموعة الأسر المتحدة بوشائج القرابة، وهي أيضاً كيان اجتماعي يقوم على القرابة والمصاهرة ويمكن لهذا الكيان أن يأخذ طابعاً اقتصادياً يكفل لأفراده المشاركة في مختلف النشاطات الاقتصادية. ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 167.

[3]**ليبي أو لوبي:** مشتق من ليبيا أو لوبا: وهو اسم عريق ضارب في القدم، دار حوله الكثير من الجدل في محاولة لتتبع أصوله لغويا وجغرافيا ثم حضاريا، ويبدو أنه اشتق من الكلمة المصرية القديمة ريبو، وفي قراءة أخرى ليبو التي تقابل اللغة العبرية لوبيم وفي الإغريقية ليبوس وفي اللغة العربية ليبيا، وقد وجدت لها نصوص كثيرة في المعابد المصرية كمعبد الكرنك الذي يعود إلى فترة الملك مرنبتاح، وعهد رمسيس السادس من الأسرة الفرعونية العشرين. لقد شاع اسم القبائل التي كانت تقطن إلى الغرب من مصر تحت اسم الليبو، ثم انتقل الاسم إلى الفينيقيين، وورد الاسم أيضا في نقوش متعددة. وعن طريق الفينيقيين انتقل الاسم إلى الإغريق، وذكر في عدة مواضع من الإلياذة ولأوديسة لهوميروس.أما هيرودوت، فقد ذكر اسم ليبيا في عدة نصوص، غير أن الاسم كان يعني لديه قارة إفريقيا كلها. ينظر: محمد الصغير غانم ، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 148.

[4] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 950-715 ق.م، دار القدس، وهران، 2015، ص 69.

كانت الأسرة نواة أساسية للمجتمع، فنقوش الكرنك في عهد مرنبتاح[1](1212-1202 ق.م) ذكرت، أن: **"مريي بن دد"** أمير الليبو صحب زوجته وستة من أولاده إلى الدلتا[2].

وقد ورد في نصوص "رمسيس الثالث"[3](1186-1154ق.م) أن "مريي بن دد" أمير الليبو صحب معه زوجته وأسرته وابنه، ولذلك فإن الزواج كان الصورة الرسمية للعلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع القبيلة، وأن الزوجة الأولى هي زعيمة نساء القبيلة، وهي السيدة ذات المكانة الاجتماعية الرفيعة بينهن[4].

2.1 نظام الحكم:كان يرأس مجتمع القبيلة زعيم أو رئيس من أسرة معينة تحتكر لنفسها زعامة القبيلة. وكان هذا الزعيم يعزل عن الرئاسة إذا ثبت عدم كفاءته، ويعهد بمنصبه إلى أحد أعضاء الأسرة الآخرين، كما حدث في حالة أمير الليبو **"مريي ابن دد"** الآنف الذكر، الذي هزمه الفرعون "مرنبتاح"[5]، حيث يشير النص عن ذلك بمايلي:**" لقد هزم مرى وسقطت الريشة من على رأسه ...وكان مساعدوه قد**

[1] **مرنتباح (Mertenpah)**: (1212-1202 ق.م) ابن "رمسيس الثاني"، ورابع ملوك الأسرة التاسعة عشرة (1295-1188)اشتهر بصراعه مع اللوبيين. ينظر: يان أسمان، مصر القديمة، تاريخ الفراعنة على ضوء علم الدلالة الحديث، تر: حسام عباس الحيدري، منشورات دار الجمل، كولونيا-ألمانيا، 2005، ص 522.

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994، ص71.

[3] **رمسيس الثالث (RamsesIII)**: (1186-1154ق.م) ابن "ستنخت" ثاني ملوك الأسرة العشرون (1188-1069) قام بحملات تأديبية على القبائل المتمردة التي تقطن غرب مصر. ينظر: يان أسمان، المرجع السابق، ص ص 522-523.

[4] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف: أ.د محمد الصغير غانم، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية (2011-2012) ص118 .

[5] المرجع نفسه، ص 118.

هربوا بسبب خوفه...وإذا عاش فلن يقود مرة أخرى لأنه هزم...وسينصبون آخر مكانه"[1]. يفهم من النص أن رجال القبيلة يستطيعون تنحية الرئيس الذي لا ترضيهم تصرفاته.

والحكم الوراثي في القبيلة يكون للأخ وليس للابن فبعد انهزام "مري بن دد" عين بدلاً عنه أخاه وليس ابنه، مع العلم أن كان له ستة أولاد في سن الرجولة وقد شاركوا كلهم في الحرب التي كانت دائرة بينهم وبين المصريين[2].

ويساعد بعض الأشخاص رئيس القبيلة في تسيير شؤونها، لعلهم كانوا يشكلون مجلساً استشارياً. فقد أشار النص السابق إلى كلمة **"مساعدوه"**، وأشارت نصوص الملك "رمسيس الثالث" إنه أمر أن يحضر إليه الأسرى العشرة، يرجح أنهم كانوا يشكلون المجلس الاستشاري، الذي تعاون مع رئيس القبيلة في إدارة شؤونها[3]. وتذكر الآثار المصرية القبض على خمسة من رؤساء القبائل ومستشاري الرئيس "مششر" فورد في النص: **" تجمع الأسرى تحت الشرفة ومن بينهم رؤساء البلدان (القبائل) متجمعين، يندبون حظهم السيء وقد أخذ المستشارون إلى الملك"**[4]، وأشير في نصوص الأسرة الثانية والعشرين اللوبية إلى: **"زعماء أرض المشوش"** و**"الرئيس الأعظم للمشوش"** و**"رئيس الرؤساء"**[5].

أما في قبيلة "الأوزيين" نلمح مجلساً من نوع مغاير، ذلك أنه كان لهذه القبيلة مجلس يضم جميع الرجال البالغين، ينعقد مرة كل ثلاثة أشهر، أي مرة كل فصل من

[1] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 73.
[2] أم الخير عقون، المرجع السابق، ص 70.
[3] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق ، ص 73.
[4] أم الخير عقون، المرجع السابق، ص 71.
[5] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق ، ص 73.

فصول السنة. وتدل النقوش المصرية على أن رؤساء القبائل اللوبية كانوا من الطبقتين: رؤساء كبار ورؤساء آخرون من مرتبة أدنى[1].

يذكر بيتس أن واجبات وامتيازات رؤساء اللوبيون غامضة في السجلات المصرية وربما يظهرون في بعض النقوش المصرية كمستشارين للكونفدرالية القبلية ،لكن عموماً يتميز الزعماء بغذاء ولباس أحسن من غذاء ولباس أفراد القبيلة العاديين[2].

وكان رئيس القبيلة يجمع في يده السلطتين الزمنية والدينية، فهو رئيس مجلس القبيلة وقت السلم، يدير شؤونها، وقائد الجيش وقت الحرب[3]، ويعتقد "بتيس" بأن رئيس القبيلة يعتبر كاهناً أيضاً[4].

وتوضح صور جدران المعابد في مصر علامات أقدم للزعامة أو الرتبة حيث تزين الزعماء بريش النعام وجناحي الطائر والروب الطويل المزخرف وهذه من دلالات الحكم، ومن علامات الرتبة الرفيعة أيضاً الوشم وارتداء ذيول الحيوانات وتظهر الصور الخدم للتمييز بين الحكام اللوبيين ورعاياهم كما كانت زوجات الرؤساء العظام في بعض الأحيان يكرمن بارتداء زي الرجال[5].

2.ظاهرة تعدد الزوجات من خلال المصادر المصرية:

قدمت النصوص المصرية صورة بسيطة وواضحة عن اللوبيين في إطار الحديث عن الانتصارات الحربية للملوك الفراعنة، ومن بينها ظاهرة تعدد الزوجات حيث ورد في

[1] عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، دار صادر، بيروت، 1971 ، ص88.

[2]Oric Bates, The Eastern Lybians (An Essay), éd, Macmilan and co., Limited, London,1914, P 116.

[3]رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص73.

[4]Oric Bates, Op-cit, P 116.

[5]Ibid, P 117.

نقوش الكرنك أن "مريي ابن دد" أمير قبيلة الليبو، كان يصحب معه نساءه وعددهن اثنتا عشرة زوجة. كما أشير إلى نساء "كيبر ابن دد" في نصوص "رمسيس الثاني"[1].

وقد اتخذ زعيم القبيلة اللوبي زوجات ثانويات، فنصوص الكرنك تذكر الرجال الستة الذين اصطحبهم "مريي بن دد" كانوا في سن الرجولة. ربما لم يكونوا كلهم أبناء الزوجة التي اصطحبها معه، ويؤكد ذلك ما ورد في فقرة أخرى من قائمة أسرى الحرب على جدران الكرنك، جاء فيها:" **أسرت نساء الزعيم اللوبي المهزوم اللواتي جلبن معه، وكن اثنا عشر امرأة لوبية**"[2]. وأما في حرب القبائل اللوبية المتحالفة ضد "رمسيس الثالث"، فقد أُسرت ثلاثمئة واثنان وأربعين من زوجات زعماء القبائل المتحالفة[3].

وورد في لوحة "بيعنخي"(مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين 715-656 ق.م)، أن: الملك "نمرود"، --وهو لوبي من المشوش- أرسل زوجته " نس تنت" إلى الملك "بيعنخي"، لتطلب العفو منه لزوجها. ويشير النص:**"ولما دخل بعنخي قصر نمرود، أمر أن تأتي إليه زوجات الملك وبناته"**[4]. وهذا النص يؤكد تعدد زوجات الملك اللوبي الأصل، لأن المصريين لم يكونوا يتخذون إلا زوجة واحدة[5].

---

[1] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص71.

[2] مها العيساوي، المجتمع اللوبي، المرجع السابق، ص119.

[3] أم الخير عقون، المرجع السابق، ص 73.

[4] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص86.

[5] ربما يرجع ذلك لأسباب دينية حيث أشادت بعض النصوص الدينية بصلاح أزواج مثاليين لم يكونوا يرتضون بديلا عن زوجاتهم حتى في عالم الآخرة، ولو تعددت جواريهم، وترتب كذلك على شيوع رغبة الاستقرار بين أخيار المصريين القدامى إلى تقليل أخذهم بتعدد الزوجات، وكان لثقل التزامات الطلاق أثر كذلك في شيوع الاكتفاء بزوجة واحدة. للمزيد ينظر: عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص23

وقد اكتشف علماء المصريات خلال القرن العشرين الكثير من قراطيس البردي التي تناولت تفاصيل الحياة اليومية للمجتمع المصري، إلا أن البرديات التي تعود إلى فترة حكم الأسرتين اللوبيتين (22-23) نادرة، كونها تعرضت للفناء والتحلل بسبب وجودها في منطقة الدلتا التي تتميز بالرطوبة[1]، ورغم ذلك فإنها قد حفظت للمؤرخين بعض الملامح المهمة فيما يتعلق بالزواج وأركانه الذي حظي من الناحية الاجتماعية خلال فترة حكم الأسرتين اللوبيتين باهتمام غير مسبوق، لما كان من فائدة المصاهرة في استقرار المجتمع اللوبي واستيطانه في مصر القديمة، واعتبر الزواج علاقة لها آثار قانونية بالإضافة إلى العلاقة الروحية والتمازج النفسي والتعاطف بين الرجل والمرأة[2]، خاصة وأن التنظيمات الاجتماعية في مصر القديمة لم تتمسك كثيرا بالفوارق الطبقية والعرقية الحادة في شؤون الزواج والمعاملات. وإنما قام التمايز بين الأسر في المجتمع على أسس اعتبارية من اختلاف المستويات الثقافية والإمكانيات المادية، أكثر مما سواها. وعلى الرغم كذلك من حرص الأسر الفرعونية على نقاء دمائها الملكية، إلا أنها لم تمنع أمراءها بل وأميراتها من أن يصهروا إلى ما عداها من الأسر المناسبة لهم في المجتمع[3].

وبلغ هذا التسامح الاجتماعي ذروته في الأسرة الحادية والعشرون (1069-945 ق.م) بدليل علاقات المصاهرة بين أسرة "شيشنق" اللوبية والعائلة المالكة المصرية وتحدث عن ذلك "دونالد ريدفورد" (Donald B. Redford) حيث ذكر أن شيشنق الجد كان رجلا عجوزا أنجب أبناء يافعين خلال حكم "بسوسينس

[1] فلاندرزبيتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، تر:حسن جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 184.

[2] مها العيساوي، المجتمع اللوبي، المرجع السابق، ص 137.

[3] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص57.

الثاني"، وكان قد اكتسب عدداً كثيراً من درجات القرابة مع العائلات البارزة[1]، حيث أكد المؤرخون المعاصرون أن الملك "بسوسينس الثاني" آخر فرعون للأسرة الواحد والعشرين، له ابنة تدعى "مكاري" (Makare) تزوجها "أوسركون" وأنجب منها الكاهن الأعظم (ميري- أمون- سوسنق)، وعلى هذا الأساس يكون "بسوسينس الثاني" جد "شيشنق الأول" من أمه. بينما تقول مصادر أن شيشنق هو نفسه من تزوج ابنة "بسوسينس الثاني" وأنجب منها خليفته "أوسركون الأول"، وهذا ما نقش حرفيا على نصب إله النيل. وفي رواية أخرى يشار إلى أن "شيشنق الجد" أنجب ابنا اسمه "ثملوت" أو "نمرود" وهو بدوره أنجب شيشنق الأول الذي تزوج ابنة "بسوسينس الثاني"[2].

بعد وفاة شيشنق الأول، تولى الحكم ولده "أوسركون الأول" الذي تزوج الأميرة المصرية "ماعت كارع" التي تجري في عروقها الدماء المقدسة للفراعنة، وهي حسب التقليد المصري تنقل هذا الحق لزوجها، والأمثلة عن ذلك كثيرة في التاريخ الفرعوني، حيث قام أصحابها باعتلاء عرش الفراعنة باللجوء إلى الزواج من الأميرة الشرعية، بل كان يتوجب على الأمير ابن الفرعون المصري من زوجة ثانوية، الزواج بأخته الأميرة ابنة الزوجة الملكية أخت الفرعون لتنقل له الشرعية في حكم مصر الفراعنة. وبالتالي فإن اعتلاء "أوسركون الأول" عرش مصر، كان مطابقاً للتقاليد والعادات والقوانين المصرية القديمة[3].

[1] ريدولف دونالد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص450.

[2] عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق الأول وإمبراطوريتها لأفرو-آسيوية، ط1، دار الرواد، طرابلس، 2013، ص69.

[3] أم الخير عقون، المرجع السابق، ص 207.

وهناك مثال آخر على اختلاط اللوبيين بالمصريين عن طريق الزواج والمصاهرة وهو زواج ابن شيشنق الأول "إيوبوت" من إحدى بنات "بينوزم الثاني" كبير كهنة أمون[1]، وقد كانت تسمى "كارومانة" عابدة لاهوتية لآمون وحافظة تقاليد وحقوق الخلافة الملكية، وبذلك أصبح ابنه هو الكاهن الأكبر لآمون[2].

وكان السائد هو أن ينعقد الزواج في عرف المجتمع اللوبي شفهيا، وبمجرد التراضي ودون الحاجة إلى الكتابة على يد الكاهن.وعندما تمصر المجتمع بفعلالمصاهرة وتعاقب الأجيال حاكى المجتمع اللوبي المجتمع المصري في عملية توثيق عقود الزواج وعقود الطلاق أيضا. وتؤكد بعض عقود الزواج الهيراطيقية التي وصلت من الأسرة الثانية والعشرين ظاهرة تعدد الزوجات، وتدحض فرية زواج الإخوة[3].

تذكر مها العيساوي أن البرديات الديموطيقية[4] المحفوظة في المتحف البريطاني، والتي تعود إلى مرحلة العصر المتأخر، أشارت إلى وسائل تنظيم العلاقات الزوجية وحفظ الأنساب والحقوق المترتبة للزوجة والأبناء، وقد ظهرت هذه الصورة بشكل

[1] مجموعة مؤرخين، موسوعة تاريخنا، الكتاب الأول، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، دار التراث، 1977، ص 185.

[2] أحمد صفر، مدنية المغرب العربي عبر التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959، ص 48.

[3] مها العيساوي، المجتمع اللوبي، المرجع السابق، ص 137.

[4] **البرديات الديموطيقية**: والديموطيقية هي الأخرى تعبير يوناني مكون من مقطعين ومعناه "الكتابة الشعبية" أو "الخط الشعبي" وقد كتبت اللغة المصرية بهذا الخط بعد تطور الخطين الهيرو غليفيو الهيراطيقي إلى شكل أكثر اختصارا وسهولة في التدوين، أما البرديات تعد من الوثائق المهمة لكنها غير منشورة، اكتشفها عالمي المصريات جريفيث وتشارني، وتعد مصدرا مهما في دراسة التاريخ الاجتماعي لمصر الفرعونية في العصر المتأخر. لمزيد من المعلومات ينظر: مختار السويفي، مصر القديمة دراسات في التاريخ والآثار، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2006، ص 93.

جلي في النصوص الأدبية المصرية القديمة، كما أنها اعتبرت كل علاقة غير شرعية بغيضة ومنفرة في المجتمع لا يحظى أفرادها بالتقدير والاحترام[1].

وعلى كل فإن هذه البرديات والنصوص هي الدليل المادي القاطع على أن المجتمع الذي يحترم أهم علاقة تقوم عليها الأسرة هو مجتمعاً صالحاً ومتماسكاً بعيد تماماً عن الصورة التي نقلتها المصادر الكتابية الإغريقية والرومانية فيما بعد.

أما نظام تعدد الزوجات كان معروفاً ومعمولا به بين اللوبيين في مصر، ولم يكن حكراً على طبقة الأشراف، إذ كان العمال والعامة من الشعب يتخذون أكثر من زوجة، وغرضهم في ذلك زيادة اليد العاملة والمعيلة في الأسرة[2].

إلا أن ثمة شواهد أخرى مثل لوحة "حاربسن" (من الأسرة الثانية والعشرين) وقد سجل هذا الملك، وهو ينحدر من أسرة لوبية شجرة نسبه. وتبين أن كل رجل من هذه الأسرة كان يتخذ زوجة واحدة. ولعل ذلك يفسر بأن هذه الأسرة، بحكم إقامتها في مصر، كانت قد تأثرت بالعادات المصرية فلم يتخذ رجالها سوى زوجة واحدة، أسوة بالمصريين، أو أن الزوجة التي ورد ذكرها كانت السيدة الأولى في حريم ضم عددا من الزوجات[3].

مع العلم أن ظاهرة تعدد الزوجات كانت قليلة في المجتمعات المصرية –كما ذكرت سابقا– على الرغم من أن هذا التعدد كان مشروعا لديهم، وأن بعض الملوك والأثرياء وأواسط الناس قد أخذوا به فعلا، وأن القصور الكبيرة لم تخلوا من الجواري والسرايا لاسيما في عهود الرخاء والترف. وكان لثقل التزامات الطلاق أثر كذلك في شيوع الاكتفاء بزوجة واحدة، وقلة احتمالات الانفصال بين الأزواج[4].

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي، المرجع السابق، ص ص 137-138.
[2] المرجع نفسه، ص 138.
[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 39.
[4] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 23.

3.تعدد الزوجات من خلال المصادر الإغريقية:

كان نظام تعدد الزوجات معروفًا ومعمولاً به في المجتمع اللوبي، لعل انتشار هذه الظاهرة على نطاق واسع بين اللوبيين هي التي أدت إلى وقوع عدد كبير من الكتاب الإغريق، وفي مقدمتهم هيرودوت في خطأ كبير، عندما تحدثوا عن انتشار ما يشبه الإباحية الجنسية، ولهذا يتوجب إعادة النظر في المصادر القديمة ومحاولة استقرائها والرد عليها مما ورد بها لأن العائلة في بلاد المغرب القديم عائلة زواجية[1].

تحدث هيرودوت في العديد من المواضع عن ظاهرة تعدد الزوجات حيث قال عنقبيلة النساموس (Nassamos): " **ومن عاداتهم أن يتخذ الرجل عدة زوجات، والمرأة عندهم مشاع، مثل ما هي عند الماساجيتاي– وإذا أراد الرجل أن يضاجع امرأة ضرب عموداً، إشارة إلى رغبته في امرأة تشاركه الفراش. ومن عادات هؤلاء القوم أن يقيم الرجل عند زواجه الاول حفلة، وفيها يتعاقب ضيوفه على عروسه، الواحد تلو الآخر ثم يقدمون لها هدايا متواضعة من موجودات بيوتهم**"[2].

هناك تناقض فيما أورده هيرودوت حول وضعية المرأة لدى النساموس، فهم من جهة متعددو الزوجات ومن جهة أخرى المرأة مشاعة بينهم. لأن المشاعة الجنسية تلغي وجود الزواج، والمشاعة البدائية حسب التحليل المادي للتاريخ مرحلة مرت بها الإنسانية، حيث كان كل شيئا مشتركاً بين البشر: القوت والجنس وغيره. وحتى الظاهرة المتعلقة بمضاجعة العروس ليلة دخلتها وتقديم الهدايا لها، لا ندري هل الأمر يتعلق بالفعل بكل أبناء المجموعة البشرية أم بالأعيان أم بالملك؟ لأن هيرودوت يقول

[1] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 335.

[2] هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، مراجعة: أحمد السقاق وحمد بن صراي، أبو ظبي–الإمارات العربية المتحدة، 1422هـ/2001م ، ص ص 360-361.

في موضع آخر عن قبيلة الأديرماخيد[1]: **"ومن عاداتهم أيضا أن يصطحبوا العروس لمقابلة الملك قبل أن تزف إلى زوجها. فإذا استحسنها افتضها"**[2].

هذه الفقرة تتضمن معلومتين: الأولى، وجود نظام ملكي لدى هذه المجموعة البشرية، والثانية العادة الخاصة بتقديم البنات للملك. ففيما يتعلق بهذه العادة الأخيرة، فإنها ظاهرة كانت موجودة لدى العديد من الشعوب سواء في العصور القديمة أو في العصور الوسطى، اعتقاداً منهم بقداسة الملك أو باعتباره ممثل الرب على الأرض، أو يتقمص شخصية الرب. ولذلك، وعلى ما يبدو فإن هذه العادة لها علاقة بالاعتقاد الديني والقداسي للملك أكثر من الاعتقاد الدنيوي، وهذه العادة وجدت في الهند والاسكيمو وبعض مناطق أمريكا وجزر الكناري واستمرت في أوروبا حتى فترة متأخرة[3].

وقد ذكر هيرودوت عن قبيلة الجندان[4](Gindanes):" **ونساء هذه القبيلة يزين كواحلهن بعقد من الجلد، فتضع المرأة منهن شريطاً من الجلد حول**

[1] **الاديرماخيد**: مجموعة بشرية تسكن على الساحل، وهي أول مجموعة ليبية يذكرها هيرودوت انطلاقا من مصر، ويمتد وقد حاول بعض المؤرخين جعلهم التمحو، في حين قال البعض الآخر أنهم خلفاء المشوش الذين انتصروا على رمسيس الثالث سنة 1188 ق.م، إلا أن كلا الفرضيتين لم تلق النجاح لأنهما ضعيفتي الأسس التي أستند عليها في إثبات ذلك. ينظر: بنت النبي مقدم، هيرودوت يتحدث عن الحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، تكريماً للأستاذين محمد البشير شنيتي ومحمد خير أورفه لي، مجلة كنوز الحكمة، السداسي الأول، 2016، ص ص 330-331.

[2] هيرودوت،المصدر السابق، ص ص 359-360.

[3] بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص 338

[4] **الجندان**: واحدة من قبائل السيرت ويحتمل أن تكون فرعاً من اللوتوفاج ومن جاراتها قبيلة المكله واسو الأوزاس، المرجع نفسه ص 332.

الكاحل عن كل رجل عاشرها، وكلما ازدادت الأشرطة في كاحلها ازدادت جاذبيتها وذاع صيتها، لأن كثرة الأشرطة تعني كثرة عشاقها"[1].

لا ندري ما نسبة الحقيقة فيما ذكره هيرودوت؟ وما هو مصدره؟ هل المعاينة أو الرواية الشفهية؟ لأن هناك اختلاف بالطبع بين الرواية والمعاينة، وبالتالي فإنه من الصعب القطع في هذا الموضوع. لكن بالرغم من أن هذه الظاهرة تبدو غريبة، إلاّ أن هنالك ما يماثلها في عادات القبائل الصحراوية، وتتعلق بالمرأة، فبدلا من حلقات تزين الكاحل، فإنها كلما ارتفع عدد الأزواج الذين عرفتهم ترتفع مكانتها في أعين الرجال، ويصبح مهرها أكثر غلاء.

ولقد قال في الأوسيس:" **ونساء هذه القبيلة مشاع بين رجالها، فلن تقع على أزواج وإلى جانبهم زوجات، والجماع أمر عارض عندهم، كما هو عند الحيوان، وإذا ولد طفل انتظروا حتى يشب عن الطوق، فيعقدون عندئذ مجلساً، وهو مجلس يعقد دورياً كل ثلاثة أشهر، ويدعون إليه هذا الفتى وينسب فيه إلى من كان أقربهم إلى شبيهه بين الحضور"**[2].يشير ستيفان غزال إلى أن انعدام الزواج ومشاعية المرأة ليست حكراً على سكان بلاد المغرب القديم، بل عرفتها شعوب قديمة أخرى، فعادة دخول ضيوف العريس على العروس ليلة زفافها، الواحد تلوى الآخر بحسب السن كانت منتشرة بجزر البليار وأمريكا الجنوبية خاصة المناطق القريبة من المحيط[3].

ويؤكد سترابون أيضا تعدد الزوجات في المجتمع المغربي القديم بقوله: " **والسكان هنا على بساطة متناهية في أنماط حياتهم وثيابهم غير أن للرجال**

[1] هيرودوت، المصدر السابق، ص362.
[2] المصدر نفسه، ص. 363.
[3] بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص 338.

زوجات كثيرات وأولاد كثيرين، وهم في جوانب معيشتهم كالعرب الرحل"[1]من خلال النص يبدو أنتعدد الزوجات سببه الرغبة في إنجاب الكثير من الأولاد، وقد يصلون إلى الزواج من خمسين امرأة، وبالرغم من أن الرقم مبالغ فيه، إلا أنه غير مستبعد بالنسبة لرؤساء القبائل والأمراء لكن ليس كزوجات فقط وإنما كمحظيات ومسبيات، بالتالي كثرة الزيجات هي التي تفسر نسبة الكثافة السكانية الراجعة لكثرة الولادات.

لقد ناقش العالم الإنجليزي "أورك بيتس"(Oric Bates) هذه الادعاءات، حيث اعتبرها خطأ وقع فيه الكتاب القدامى من إغريق ورومان، لعجزهم عن تفهم ظاهرة تعدد الزوجات. ويورد دليلين اثنين على ذلك، الأول: أنّ الأوسيس كانوا ينزلون عقوبة الموت بالفتاة المشتركة في بعض طقوسهم الدينية، إذا تبين لهم أنها كانت فاقدة عذريتها. وقومٌ هذه صفاتهم لا يمكن أن يصح ما قاله هيرودوت فيهم. والثاني: أنّ نوعا من قرابة الدم كان شائعا في شمال أفريقيا، مما يدل على أنهم كانوا متفقين على نوع من الزواج، يكفي لتحديد قرابة الدم في نطاق الأسرة والقبيلة. إضافة إلى ما دلت عليه النصوص الأثرية المصرية ذات المواضيع العسكرية، لظاهرة تعدد الزوجات فهي إشارة غير مباشرة على الاعتراف بالارتباط الشرعي بين أفراد القبيلة، عكس ما يصوره المؤرخ الإغريقي هيرودوت[2].

ولا نستبعد أن قضية المشاعية التي أثيرت، المقصود منها ممارسة السكان لتعدد الزوجات، فلو كانت المرأة مشاعاً في عرف تلك القبائل، لما طلب الملك "هيرباص" "عليسا" للزواج، ولاعتبرها حقاً من حقوقه مادام هو الملك وهي وافدة

[1]خشيم علي فهمي: نصوص ليبية من هيرودوتس/ سترابو/ بليني الأكبر/ ديودوروس الصقلي/ بروكوبيوس القيصري/ ليون الإفريقي، ط2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975، ص. 60.

[2]Oric Bates, Op-cit, P.113.

على أرضه، وحتى "بومبونيوس" الميلي حين حديثه عن المشاعية تكلم أيضاً عن الأطفال والأصهار، فكيف للأصهار أن يكونوا إذا لم تكن هناك علاقات زواج مقننة في إطار اجتماعي، ونسب متعارف عليه بين الأسر، خاصة في مجتمع حرصت البنات فيه وأوليائهم على الزواج[1].

4. مكانة المرأة اللوبية:

تعدد الزوجات في المجتمع المغربي القديم لا يعني انحطاط مركز المرأة فيه، حيث كان وضع المرأة جيداً وكان للعنصر النسوي نصيباً حقيقياً في الدين وفي الحياة السياسية وهذا ما أكدته الآثار المصرية وتمثيل الزخارف الشخصية للمرأة مثلها مثل الرجل، وحصول بعضهن على امتيازات استثنائية وتقلدهن مناصب قيادية لهذا السبب صورت رؤساء نساء على أنهن يرتدين ملابس الرجال ومنه جراب العورة وذيل الحيوان في نقوش بلاط مدينة "هابو"[2].

كما كان للمرأة مكانة رفيعة ودور بارز في المجتمع المغربي،فإلى جانب كونها زوجة وأم، فقد خرجت مع الرجال للحروب وإسعاف الجرحى[3]، وتظهر في لوحة "بني حسن" امرأة لوبية تحمل أغصاناً والمعروف أن معظم القبائل تعرض المرأة للكي بانتظام عندما تبلغ من العمر أربع سنوات بخيط من الصوف على قمة الرأس أو حول الأوردة ومعظم هذه العمليات قامت بها نسوة مهرة من البدو الرحل[4].

[1] مقدم بنت النبي، المرجع السابق، ص 338.

[2] Oric Bates, Op-cit, P.113.

[3] أم الخير عقون، المرجع السابق، ص 72.

[4] Oric Bates, Op-cit, P.113

وقد روى لنا ديودور الصقلي أسطورة[1] نقلها عن سابقيه وهي قصة النساء المحاربات الأمازونيات (Amazones)[2]، مقرهن جزيرة هيسبيري (Hesperie) الواقعة أقصى غرب ليبيا على ضفاف بحيرة تريتونيس[3]، مارست الأمازونيات التدريبات العسكرية، مع الحفاظ على عذريتهن، وكل فتاة تبتر ثديها الأيمن، حيث ساد الاعتقاد أن حجم الثدي يعيق ممارستهن لخوض التدريبات التي تتطلب مجهودات جسدية دؤوبة وجبارة[4]. ومن ثم كان العرف يقضي بإحراق أثداء الفتيات العذراوات حتى يتوقف نموها، وهو أصل كلمة "أمازون" كما ورد عند المؤرخ ديودور الصقلي، ويبدو أن هذا الاسم الذي عرفن به جاء بالنطق الإغريقي، يقصد به النساء اللائي تبتر أثداءهن لكي يسهل عليهن استعمال القوس والنبال بكل مرونة، وبعد انتهاء سنوات الخدمة العسكرية يمكنهن الاقتراب من الرجال لإنجاب الأطفال، وفي نفس الوقت كن يتابعن ممارسة السلطة وإدارة الشؤون العامة[5].

[1] لا أحد يجهل أهمية الأساطير في دراسة أنظمة التخيل، أنظمة التفكير، أنظمة التعبير لدى الشعوب عموماً، ولدى الشعوب القديمة على الخصوص ولا أحد يجهل، أنه ربما وراء تلك الصور الخرافية المحضة التي تحملها الأسطورة هناك دائماً ما يمكن أن نسميه بصيص من الحقيقة يبقى مرتبطاً بواقع معين، ولو تعلق الأمر بجملة الأفكار وجملة الصور التي تعكسها الأسطورة على الحدث الذي يشكل موضوعها. ينظر: أحمد سراج، المرأة في الأسطورة القديمة، أمل التاريخ ـ الثقافة ـ المجتمع، العدد 13-14، الدار البيضاء، 1998، ص 20.

[2] يمكن طرح السؤال عن العلاقة بين كلمة أمازون والاسم الدّال على الغولة في تامازيغت وهو في المفرد: ثامزا وفي الجمع ثامَزْوين بتفخيم حرف الزاي (Tamza, pl. Tamzwin)، وكما هو معروف فإن الغولة في الموروث الشعبي هي امرأة مسترجلة، خاصّة وأنّ هذا الاسم لا يشتقّ منه مذكّر، مثله مثل كلمة أمازونيات التي لا يشتقّ منها مذكّر أيضا. ينظر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 173.

[3] Diodore de Sicile,Bibliothéque Historique de Diodore de Sicile, Tome 01, Trad par ; Ferdinand Hoefer , T ;3, éd.AdolpheDelahays, Paris, 1851, III, 52.

[4] Ibid, III,53.

[5] Ibid, III, 52.

لا أريد هنا الدخول في التفاصيل التحليلية لبنية هذه الأسطورة، وإنما الأخبار المتواترة عن ممارسة الأمازونات للتدريبات العسكرية في النصوص الإغريقية، تعكس لنا في تقديرنا انبهار الكتاب القدماء بمجد تحقق في ليبيا، وانبهارهم بالأدوار التي مارستها المرأة، ومما يعكس حقيقتها استمرار مجد المرأة المغربية التي قادت جيوشا للدفاع عن أرضها ووطنها، حيث يجد الباحث نفسه حائرا بين زخم من الأسماء النسوية التي تولت مهمة قيادة الجيش وبرهنت على براعتها الحربية[1].

الثابت هو أن المرأة المغربية محاربة، فقد روى "بروكوب" استمرار تقاليد اشتراك المرأة المورية في القتال وأنها تشارك في حفر الخنادق وتقوم بنصب الخيام للجند، وتعتني بالخيل والإبل، ويصف "كوربيوس" أسيرات "جيتوليات" جيء بهنّ إلى قرطاج على جمال قويّة، جباههنّ موشومة وأطفالهن ملتصقون بصدورهن[2].

والذي يلفت النظر إلى هذا العنصر النسائي المقاتل، أن اليونانيين حرصوا على تبجيله وتقديره لأن النساء الإغريقيات كانوا يقضون أوقاتهم في المنازل خاضعين دون أدنى حق سياسي[3].

وبالإضافة إلى هذا فإن نظام الإرث القائم على أساس التسلسل من نسل الأم كان شائعا بين القبائل اللوبية في هذه الفترة مما يدل على أنهن كن موضع تكريم، وعلو منزلتهن في المجتمع اللوبي.

---

[1] هناك العديد من النصوص التاريخية التي تثبت أن النساء في المغرب القديم كن يشاركن في الحروب إلى جانب الرجال، فهناك نص لهيرودوت عن شعب الأركيس (Les aurcaisses) إحدى قبائل إفريقيا الشمالية والذي يقول: "بأن الرجال حينما كانوا يقومون بغزوة ما، فإن المرأة عندهم كانت تتولى قيادة العربات. ثم يمكن تتبع هذه النصوص حتى نصل إلى القرن السابع، إلى عهد الكاهنة التي أضحت صورة أسطورية من الصور التي تعودت النصوص الخاصة بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب أن تتحدث عنها.

[2] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 174.

[3] أحمد سراج، المرجع السابق، ص 21.

خاتمة:

تثبت المصادر القديمة وجود ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع اللوبي القديم على حسب أعراف وتقاليد كل منطقة ، حيث نجد أن لكل قبيلة أعرافها وأحكامها التي ألفتها وتعودت السير عليها، مما جعل هذا الموضوع يثير جدلاً كبيراً في الدراسات الاجتماعية للتاريخ القديم ليثبتوا أن سكان المنطقة انتشرت بينهم المشاعية وكانوا لا يعرفون الزواج، لذلك حاولنا إعادة النظر في المصادر القديمة ومحاولة الرد عليها مما ورد بها أو من تلك التي تزامنت معها في نفس الفترة ولهذا فالعائلة في بلاد المغرب القديم عائلة زواجية وتعدد الزوجات سببه الرغبة في إنجاب الكثير من الأولاد.

-تعدد الزوجات لا ينتقص من مكانة المرأة لأنها كانت العمود الفقري للمجتمع ودورها لا يستهان به فكانت أدوارها الأساسية التي تقوم بها من تربية الأطفال، ورعاية شؤون بيتها، والمشاركة في الحروب، والقيام بمهن مختلفة.

-أن المصادر المصرية والإغريقية القديمة قدمت لنا صور عديدة عن حياة المرأة ونشاطاتها في مجتمع بلاد المغرب القديم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا.المصادر:

1. هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، مراجعة: أحمد السقاق وحمد بن صراي، أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة، 1422هـ/2001م.

2-Diodore de Sicile,Bibliothéque Historique de Diodore de Sicile, Tome 01, Trad par ; Ferdinand Hoefer , T ;3, éd.AdolpheDelahays, Paris, 1851 ,III, 52.

ثانيا.المراجع:

1- المراجع العربية:

1. أم الخير عقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 950-715 ق.م، دار القدس، وهران، 2015.
2. خشيم علي فهمي: نصوص ليبية من هيرودوتس/ سترابو/ بليني الأكبر/ ديودوروس الصقلي/ بروكوبيوس القيصري/ ليون الإفريقي، ط2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975
3. رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994.
4. ريدولف دونالد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.
5. عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق الأول وإمبراطوريتهاالأفرو-آسيوية، ط1، دار الرواد، طرابلس، 2013.

6. عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، دار صادر، بيروت، 1971.
7. مجموعة مؤرخين، موسوعة تاريخنا، الكتاب الأول، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، دار التراث، 1977.
8. مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشرافأ.د محمد الصغير غانم، قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية (2011-2012) .
9. أحمد سراج، المرأة في الأسطورة القديمة، أمل التاريخ ـ الثقافة ـ المجتمع، العدد 13-14، الدار البيضاء، 1998.
10. حمد صفر، مدنية المغرب العربي عبر التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959.
11. -بنت النبي مقدم، هيرودوت يتحدث عن الحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، تكريماً للأستاذين محمد البشير شنيتي ومحمد خير أورفه لي، مجلة كنوز الحكمة، السداسي الأول، ،2016.
12. -عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988.
13. –فلاندرزبيتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، تر:حسن جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
14. -محمد الصغير غانم ، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
15. -محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

16. محمد بن مسعود، تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة العسكرية البريطانية، طرابلس، 1948.
17. -مختار السويفي، مصر القديمة دراسات في التاريخ والآثار، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2006.
18. -مها العيساوي، إشكالية المنهج والمصطلح في المدرسة التاريخية الجزائرية مصطلح المجتمع المغاربي القديم أنموذجاً، أشغال الندوة العلمية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة 2011، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر 2012.

2- المراجع الاجنبية:

Oric Bates, The Eastern Lybians (An Essay), éd, Macmilan and co., Limited, London,1914.